يحي المكي ومنافسوه

مقدمة موسيقية...

مقدمة كلامية.....

أبو الفرج: كانت الخصومة شديدة بين يحي المكي ودحمان وكلاهما من المغنيين المجودين..وانقسم الناس إلى فريقين فريق ينتصر ليحي وفريق ينتصر لدحمان. ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان:

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم لما انبرى لهم دحمان خصيانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنانا

إسحاق: ويقبل أبان بن عبد الحميد اللاحقي الشاعر المعروف على الأعشى فيقول:

يا من يفضّل دحماناً و يمدحه على المغنّين طرّا قلت بهتانا

لو كنت جالست يحي أو سمعت به لم تمتدح أبداً ما عشت إنسانا

ولم تقل سفهاً في منية عرضت يا ليت دحمان قبل الموت غنّانا

لقد عجبت لدحمان ومادحه لا كان مادح دحمان ولا كانا

إسحاق ورفاقه: السلام على وزير أمير المؤمنين..

الفضل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

إسحاق: هل نجد اليوم م كانا يتسع لنا في قلب صاحب الربيع الدائم والفضل العميم المقيم؟

الفضل: طبعا يا إسحاق فإنّ لكم في داري وقلبي مندوحة من دور كل الناس وقلوبهم..

يحي: وهل يسأل ينبوع الماء النمير عن فيض عطائه يا إسحاق؟

إسحاق: ليس هذا ما قصدنا إليه يا أبا عثمان..ولكن الوزير أطال الله عمره قد يرتاح لاستقبالنا وقد لا يجد في نفسه رغبة في ذلك فنستقبله فيقيلنا.

الفضل: " يقاطعهما " أما وقد انتهى المقام بكم هنا فلنعد إلى ما كنا فيه.

إسحاق: " فترة صمت " هؤلاء أيها الوزير نخبة المغنيين والملحنين في بغداد جاؤوا يضعون بين يديك خلاصة ما صنعوا ويتركون لك الخيرة في اختيار ما يحلو لك..

الفضل: كلكم يا إسحاق متفوق في فنه..أما أنت فلك من إسمك ما تغنى به عن التعريف بك وأما يحي المكي فحدث عنه ولا حرج فهو معلم أجيال من الرجال والنساء.. وأما ابن جامع فسيد من ضرب بالعود وترنم بالشعر طويله وكاملة وبسيطه

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

ووافرة وهزجه ورمله..ثم دعك من فليح أبي العوراء فهو في ذروة من الرجال أما زبير بن دحمان فأنعم به من مغن حسن الآداء ماهر في صنعة اللحون.

ابن دحمان: ما رأي السيد الوزير في أن يسمع مني ومن يحي المكي.

الفضل: ماذا تقول يا يحي؟

يحي: الخيرة فيما تختاره يا سيدي.

الفضل: ماذا تقول يا ابن دحمان في قول الشاعر:

رُبَّ بَيتٍ كَأَنَّهُ مَتنُ سَهمٍ سَوفَ نَأتيهِ مِن قُرى بَيروتِ

ابن دحمان: هذا صوت لابن سريج لحنه خفيف رمل بالبنصر.

الفضل: هل تسمعنا إياه؟

ابن دحمان: إذا شئت..

الفضل: فإنّي أشاء..

عزف موسيقي..ابن دحمان يغني:

رُبَّ بَيتٍ كَأَنَّهُ مَتنُ سَهمٍ

سَوفَ نَأتيهِ مِن قُرى بَيروتِ

مِن بِلادٍ لَيسَت لَنا بِبِلادٍ

كُلَّما جِئتُ نَحوَها حُيّيتِ

أُمَّ سَلّامِ لا بَرِحتِ بِخَيرٍ

ثُمَّ لا زِلتِ جَنَّتي ما حَييتِ

طَرَباً نَحوَكُم وَشَوقاً وَتوقاً

لاذِّكاريكُمُ وَطيبِ المبيتِ

حَيثُما كُنتُ مِن بِلادٍ وَسِرتُم

فَوقاكِ الإِلهُ ما قَد خَشيتِ

الفضل: أحسنت يا ابن دحمان.

ابن دحمان: هذا غناء يا سيدي الوزير لا يتقنه يحي ولا يبلغ شأوه.

الفضل: ماذا تقول يا أبا عثمان؟

يحي: كنت جديراً بالرد عليه لو أنّه صدق في نسبة اللحن إلى صاحبه.

ابن دحمان: لو كان غيرك يا أبا عثمان لكان لي معه شأن.

يحي: ولم يا ابن دحمان؟

ابن دحمان: لأنك أول من خلط في رواية الأصوات والألحان.

يحي: ذلك لأنّي أشاء هذا التخليط..لكنّني عندما أرغب في قول الحقيقة لا يقف لي مثلك.

الفضل: حسن نحتكم إلى إسحاق..فهل تقبلان به حكما؟

ابن دحمان: أنا أقبل.

يحي: وأنا اقبل أيضاً..

الفضل: قل لنا يا إسحاق..لمن هذا الصوت الذي غناه ابن دحمان..

إسحاق: لقد نسب أيها الوزير لعدد من الملحنين لكن الأكثرين من الرواة على أنّه ليس لابن سريج بل لعمر الوادي فهو أن يكون له أشبه.

الفضل: أعتقد أيها السادة أنّ إسحاقاً قد فصل في الخلاف بين الجميع..

إسحاق: ألا تسمع ليحي المكي؟

الفضل: طبعاً نسمع.." يلتفت إلى يحي " فماذا تغني يا أبا عثمان؟

يحي: تختار ما يحلو لك.

الفضل: هل تحفظ غزلاً للشاعر يزيد بن ضبة؟

يحي: طبعاً أيها الوزير..

الفضل: فماذا تحفظ له؟

يحي: إنّه التشبيب الذي قدم به قصيدة يمدح فيها الخليفة الوليد بن يزيد ويصف فرسه وصيده..

الفضل: أحسنت يا أبا عثمان..الذي أعرفه أنّ لهذا التشبيب مناسبة.. فهل تقول لنا سبب نظم الشاعر له؟

يحي: الحقيقة أنّ الشاعر يزيد بن ضبة قد نظم قصيدته يصف فيها الفرس دون أن يفتتحها بالغزل على عادة الشعراء.. فلما أن سمعها الخليفة قال له: أحسنت الوصف وأجدته يا يزيد فأجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيل وعمر الوادي حتى يغنيا فيه..

الفضل: أحسنت هذا صحيح..فهل تغني في هذا الصوت؟

يحي: أمرك أيها الوزير..

عزف موسيقي..يحي يغني.....

إلى هندٍ صَبا قلبي

وهندٌ مِثلها يُصبي

وهندٌ غادةٌ غَيدا

ءُ من جُرثومة غُلب

وما إن وجد الناسُ

من الأدواءِ كالحبّ

لقد لجّ بها الإعرا

ضُ والهجر بلا ذنب

ولما أقضِ من هندٍ

ومن جاراتها نَحبي

الفضل: هذا غناء جيد حقاً..

ابن دحمان: هل أسأل يا سيدي الوزير؟

الفضل: إسأل ما بدا لك.

ابن دحمان: هل لأبي عثمان أن يقول لنا: لماذا ينتحل غناء الناس ويدعيه لنفسه؟ ولماذا ينحلهم ما ليس لهم؟

الفضل: أجب يا أبا عثمان؟

يحي: لأنّني أجد في التخليط وسيلة لامتحان معلومات الآخرين..

ابن دحمان: وماذا وجدت؟

يحي: وجدت أنّ أكثرهم على شاكلتك..يقولون ما يقال لهم كما تقول الببغاء..

ابن دحمان: أيها الوزير هذا عدوان عليّ؟

الفضل: العين بالعين يا ابن دحمان والبادي أظلم..

ابن دحمان: يكفيني منه أنّه اعترف بالتخليط والانتحال وادّعاء ما ليس له.

الفضل: حسن يا إسحاق أنت الحاكم بينهما فأحكم بما تراه ثم لا يخفى عليك ما هما فيه..

إسحاق: الحق يا مولاي أنّه إن كان ما يرويه يحي ويغنيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يردده وما لم نروه، وعلم ما جهلناه وجهلوه ولئن كان من صنعته هو شخصياً فإنّه لأحسن الناس صنعة وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصح أداء للغناء أكان ما يغنيه له أو لغيره.

الفضل: أما وقد سمعنا رأي إسحاق فليعقب كل من ابن دحمان وأبي عثمان برأي من عنده.

ابن دحمان: ليس عندي ما أقوله بعد الذي سمعت فإنّ إسحاقاً بادي التعصب لأبي عثمان.

الفضل: وأنت يا يحي..

يحي: عندما يتحدث رجل كإسحاق هو من هو في هذه الصنعة فليس لي متقدم عنه ولا متأخر..

نقلـــــة موسيقيـة...

أبو الفرج: غنى ابن جامع الرشيد يوماً البيت الأول من البيتين التاليين وهما:

إني امرؤٌ مالي يِقي عِرْضي ... ويَبيت جاري آمناً جَهْلِي

وأرى الذّمامة للرَّفيق إذا ... ألقَى رِحالَتَه إلى رَحْلي

ما عجب الرشيد به واسترده مراراً وأسكت جميع المغنيين لابن جامع ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيم وعشر خلع وانصرف.

حصان يركض ثم يتوقف بعد قليل..فترة صمت..طرق على الباب..

يحي: من الطارق؟

إبراهيم بن المهدي: أنا إبراهيم بن المهدي يا يحي..

يحي: " حركة فتح الباب " ادخل يا ابن أكرم الناس.

إبراهيم: " في لهفة " مرحباً يا أبا عثمان؟

يحي: مرحباً بك! ماذا وراءك؟

إبراهيم: قد أتيتك في أمر عاجل.

يحي: وما هو؟

إبراهيم: تصور يا أبا عثمان أنّ ابن جامع قد غنى أمام أمير المؤمنين قول الشاعر:

إني امرؤٌ مالي يِقي عِرْضي ... ويَبيت جاري آمناً جَهْلِي

يحي: وماذا في ذلك؟

إبراهيم: إنتظر وإسمع..لقد أعجب به الخليفة وأسترده مراراً وبلغ من إعجابه أنّه أسكت جميع المغنين إكراماً له.

يحي: فماذا تريد مني؟

إبراهيم: تساعدني على وضع لحن للبيت الثاني أتجاوز به ابن جامع وأسكته.

يحي: أنزاد على البيت الأول شيئاً ؟

إبراهيم: لا..لم يزد حرفاً واحداً..

يحي: أفرأيت إن زدتك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل ابن جامع أو عرفه ثم نسيه وطرحته عليك حتى تأخذه..ماذا تجعل لي؟

إبراهيم: أجعل لك النصف مما يصل إليّ بهذا السبب.

يحي: والله تجعل لي النصف مما يصل إليك بهذا السبب؟

إبراهيم: والله أفعل.

يحي: إذاً تبقى هنا اليوم حتى تأخذ البيت من الشعر ولحنه.

إبراهيم: وما هو البيت.

يحي: إنّه قول الشاعر:

وأرى الذّمامة للرَّفيق إذا ... ألقَى رِحالَتْه إلى رَحْلي

فترة صمت..ضرب بالعود ثم يزول الصوت شيئاً فشيئاً.....

أبو الفرج: فلما حضر المغنون من غد ودعي به كان أول صوت غناه إبراهيم هذا الصوت وجاء بالبيت الثاني وتحفظ فيه فأصاب وأحسن كل الإحسان.. فأمر الرشيد لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيم وعشر خلع فحمل ذلك كله وانصرف من وجهه ذلك إلى يحي فقاسمه ومضى إلى منزله..

طرق عنيف على باب يحي...

يحي: مهلاً يا عزيزي..لا تعجل عليّ " حركة فتح الباب " أهذا أنت يا ابن جامع.

ابن جامع: نعم هذا أنا! ألا تستحي يا أبا عثمان؟

يحي: أستحي من ماذا؟

ابن جامع: منّي أنا؟

يحي: عجيب أمرك! أستحي منك في الوقت الذي تقتحم فيه بيتي بعد أن تدفع في صدر البواب وتزعجني عن نفسي وأنا مريض؟

ابن جامع: كل هذا لا ينهض عذراً عما فعلت؟

يحي: إنّني لا أفهم عنك منذ اليوم.

ابن جامع: كيف لا تفهم عني وأنت وأضع اللحن وطارح البيت الثاني..

يحي: أي لحن وأي بيت ثاني؟

ابن جامع: والله إنّك في تجاهلك لما فعلت أغيظ لي مما فعلت.

يحي: لعلك تقصد اللحن الذي أخذه عني إبراهيم بن المهدي.

ابن جامع: بلى..هذا ما أقصد إليه.. ثم البيت الثاني.. لقد ألقيته إليه فجعلتني أبدو جاهلاً أمام أمير المؤمنين..

يحي: وهل من أصول الزمالة والرفقة يا ابن جامع أن أتجاهل ما يجهله غيري؟

ابن جامع: فأين الذمام..أين ما بيننا من آداب الحرفة؟

يحي: عجيب والله أمرك! وبماذا يرتزق الواحد منا إذا لم يعد من الفرص المتاحة له؟ لعلك ظننت أنّي أبيع البزار أتاجر بالنقل والفاكهة؟

ابن جامع: كلا..بل ظننت أنّك إنتهازي تنقض على كل فرصة تتاح لك حتى ولو كان في الإنقضاض عذراً وخيانة.

يحي: وبعد..هل عندك جديد تقوله؟

ابن جامع: الجديد قديم عندي..فأنا أعرفك منذ زمن طويل فاقداً للأخلاق فاسد الطوية..

يحي: إذا كان الأمر كذلك فلماذا أتيتني في داري وكأنّك تصدر عن أمل في أن تصلح ما تحسبه فاسداً؟ كان الأفضل ألا تأتي لا سيما وأنّني صريع الفراش كما ترى..

ابن جامع: لا رفع الله صرعتك ولا وهب لك العافية.

يحي: هل انتهت خطبتك؟

ابن جامع: كنت أعلم أنّك لا تتأثر بالشتم ولا تنفعل بالإهانة.

يحي: إذاً فقد أتعبت نفسك فيما لا فائدة لك منه..فهل تدعني الآن أعود إلى فراشي؟

ابن جامع: على ألا تقوم منه إلا وقد شالت قدماك ونعاك الناعون وندبتك النادبات..

يحي: لو كان القضاء والقدر في تصرف من يأكل الحسد قلوبهم لمات كثير من الناس لكن لله الحمد أنّ الحسد لا يأكل إلا صاحبه..

ابن جامع: " يعض على ناجذيه؟ آه لو أستطيع أن أغضبك..إذاً لأعطيت حياتي مقابل ذلك.

يحي: والله لن أغضب أبداً..فإنّه ليؤذيني أن أشهدك تموت وأنت في عز شبابك..إذهب مصاحباً يا إسماعيل ودعني أستريح في فراشي بعض الوقت فإنّ أمامنا متسعاً من الزمن يكفي لتصفيه ما بيننا..

ابن جامع يزمجر ويصفق الباب وراءه..

أبو الفرج: أخبرني يحي بن علي بن يحي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال، حدثني أحمد بن يحي المكي عن ابيه قال: أرسل إليّ هارون الرشيد فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتل دارا قال: يا يحي غني:

متى تلتقي الألّاف والعيس كلما ... تصعدن من واد هبطن إلى واد

يحي: ولم أزل أغنيه يا إسحاق ويسترد الغناء مرة بعد مرة حتى عددت عشر مرات استعاد فيها الصوت ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم.

إسحاق: وماذا بعد؟

يحي: أمرني بالأنصراف.

إسحاق: وما الذي يدهشك في هذا الأمر؟

يحي: كل ما حدث!

إسحاق: لكن ما حدث أمر عادي جداً..الملوك يا أبا عثمان بشر مثلنا يحتاجون الى من يشركونه في أفراحهم وأتراحهم..وهم بشر مثلنا يرغبون في التحرر من الوحدة..وقد يتمنى الواحد منهم في ساعة من ساعات الملل أن يقدم كل شيء من أجل تسليه صادقة بريئة..

يحي: وما الذي يمنع الملوك من إختيار الأصدقاء ورجال البطانة؟

إسحاق: لا شيء..لولا أنّ طبيعة عملهم تفرض عليهم أن يعتزلوا كل الناس فيما يتمتع به كل الناس.

يحي: أفلا تحب أن تكون ملكاً يا إسحاق؟

إسحاق: أحب وأكره..ولعلّي حين أكره أن تزول كل المعاني التي أتوهمها في أثناء الحب..ومهما يكن الأمر فقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم: الخيرة فيما اختاره الله..فأنا راض بمصيري..سعيد بصنعتي..أغني وأضحك أخرج متى أشاء وأعود متى أشاء لا يراقبني أحد ولا ألتزم لغير ما يلتزم له الناس..

يحي: إيه..ما أحب أن أشغل بالي بما ليس من شأني..قم بنا إلى الطعام يرحمني ويرحمك الله..

موسيقى نهاية..